

أضواء البيان

@ 203 إِنْ زُيِّنَا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زَيْنَةً لِّهَا لِنَبْدِلَ مَا هُمْ أَبْصَرُهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَإِنْ زُيِّنَا لَجَعَلْنَا مَا عَلَيَّهَا صَعِيدًا جُرُزًا . قال الزمخشري في معنى هذه الآية الكريمة : (ما عليها) يعني ما على الأرض مما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها . . وقال بعض العلماء : كل ما على الأرض زينة لها من غير تخصيص . وعلى هذا القول فوجه كل الحيات وغيرها مما يؤدي زينة للأرض . لأنه يدل على وجود خالقه ، واتصافه بصفات الكمال والجلال ، ووجود ما يحصل به هذا العلم في شيء زينة له . . وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك : أن من أنواع البيان المذكورة فيه أن يذكر لفظ عام ثم يصرح في بعض المواضع بدخول بعض أفراد ذلك العام فيه ، كقوله تعالى : { ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ } . مع تصريحه بأن البدن داخلة في هذا العموم بقوله { وَالَّذِينَ جَعَلْنَا هَاهَا لَكُمْ مَسْكِنًا وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ } . . وإذا علمت ذلك فاعلم أن قوله في هذه الآية الكريمة : { إِنْ زُيِّنَا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زَيْنَةً لِّهَا } قد صرح في مواضع أخر ببعض الأفراد الداخلة فيه ، كقوله تعالى : { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } ، وقوله : { وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً } ، إلى غير ذلك من الآيات . .

وقوله في هذه الآية الكريمة : { صَعِيدًا } أي أرضاً بيضاء لانبات بها . وقد قدمنا معنى (الصعيد) بشواهد العربية في سورة (المائدة) . . والجزر : الأرض التي لانبات بها كما قال تعالى : { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنْ زُيِّنَا نَسُوقَ الْمَمَائِءِ إِلَى الْأَرْضِ وَالْجُرُزُ فَنَدَخُرْجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ } ومنه قول ذي الرمة : أَوَلَمْ يَرَوْا أَنْ زُيِّنَا نَسُوقَ الْمَمَائِءِ إِلَى الْأَرْضِ وَالْجُرُزُ فَنَدَخُرْجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ } ومنه قول ذي الرمة : % (طوى النحر والأجزاء ما في غروضها % وما بقيت إلا الضلوع الجراشع) % . لأن مراده (بالأجزاء) الفيافي التي لا نبات فيها ، والأجزاء : جمع جرزة ، والجرزة : جمع جزر ، فهو جمع الجمع للجزر ، كما قاله الجوهري في صحاحه . .

قال الزمخشري في تفسيره هذه الآية الكريمة { وَإِنْ زُيِّنَا لَجَعَلْنَا مَا عَلَيَّهَا }

من هذه الزينة صعيداً أو جزراً ، أي مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء
معشبة في إزالة بهجته ، وإمطة حسنه ، وإبطال ما به كان زينة من إماتة الحيوان ،
وتجفيف